﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: 67 - 68]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لما قَبْلَهُما:

الـرّبـطُ بين التماسِ موسى الاتباعَ والتّعلّمَ وتأكيد الخَضِر على صعوبة المسار

مع شدّةِ حرصِ سيدنا موسى عليه السلام على اللقاء بالخضر، وكلّ هذا التلطّف والتواضع الذي أظهره، وأنواعِ الأدبِ التي عبّر بها في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فاجأه الخَضِرُ ممتحنًا عزمه وإصراره على المصاحبة والمتابعة، وعدمِ النفور والمنازعة، ومعتذرًا له عن ذلك؛ فقال له: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَبْرًا﴾: أصلُ (صبر): الحَبْسُ، يُقالُ: صَبَرْتُ نَفْسي على ذلك الأَمرِ؛ أَيْ: حَبَسْتُها[2]، والصَّبر: حَبْسُ النَّفْسِ عِنْدَ الجزَع[3]، والصَّبْرُ: الحبسُ والكفُّ والإمساكُ في ضيق[4]، وصَبَرَ صبرًا: تجلّد ولم يجزعْ وانتظرَ في هدوءٍ واطمئنان، وصبّر نفسه: حَبسها وضبطها[5]، ومعنى ﴿صَبْرًا﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللّغويِّ.

2) ﴿خُبْرًا﴾: أصلُ (خبر): العلمُ بالشّيء، تَقولُ: لي بفُلانٍ خِبْرَةٌ وخُبْرٌ، واللّهُ تعالى الخبير؛ أي: العالمُ بكلّ شيء[6]، وخَبُرْتُ بالأَمر؛ أَيْ: عَلِمتُهُ، وخَبَرْتُ الأَمرَ أَخْبُرُهُ إذا عَرَفْتَهُ على حَقيقَتِه[7]، والخُبْرُ: العلمُ بالأشياء المعلومة من جهةِ الخَبَر، وقيل الخِبْرَة: المعرفة ببواطنِ

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 109، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 373.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صبر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (صبر).
(4) الزَّبيدي، تاج العروس: (صبر).
(5) مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط: (صبر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خبر).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (خبر).

الأمر[1]، وقيل: الخُبْر، بالضَّمّ: العِلْمُ بالباطِن الخَفيِّ، لاحْتياج العِلْم به للاخْتبار، والخِبْرَةُ: العِلْمُ بالظّاهر والباطن، وقيلَ: بالخَفايا الباطِنَةِ ويَلْزَمُها معرِفةُ الأُمورِ الظّاهرة[2]، ومعنى ﴿خُبْرًا﴾ في الآية: عِلْمًا[3] من أمورٍ ستراها إنّ صحبتني، ظواهرها مناكيرُ، وبواطنها لم يُحطْ بها خبرك[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

امتحانُ الخَضِرِ عـزمَ مـوسى في المتابعةِ، وتأكيد عدمِ استطاعته الصّبرَ عليها

يقول تعالى ذِكْرُه: قال العبدُ الصّالح لموسى: إنّك لن تطيقَ الصّبرَ معي، وذلك أنّي أعملُ بباطنِ علمٍ علَّمنيه الله، ولا عِلمَ لك إلّا بظاهرٍ من الأمور، فلن تصبر على ما ترى من الأفعال، وكيف تصبرُ يا موسى على ما لا علمَ لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنتَ إنّما تحكمُ على صوابِ المُصيبِ وخطأ المُخطئ بالظّاهر الذي عندك، وبمبلغِ علمكَ، وأفعالي تقعُ بغيرِ دليلٍ ظاهرٍ لرأي عينكَ على صوابها؛ لأنّها تبتدئ لأسبابٍ تحدثُ آجلةً غير عاجلة، لا علمَ لك بالحادث عنها؛ لأنّها غيبٌ، ولا تحيطُ بعلمِ الغيبِ خبرًا؛ أيْ: عِلْمًا[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل جملة ﴿قَالَ إِنَّكَ﴾ عن سابقتها:

استئنافٌ بيانيٌّ يحملُ جوابًا مُؤكّدًا بعدمِ استطاعةِ موسى الصّبر

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ عن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؛ لكونها على طريقةِ المُحاوَراتِ، أيْ إنَّ قولَ الخَضِر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾ جاء جوابًا على قولِ موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾[6]؛

(1) الراغب، المُفردات، ص: 273.
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (خبر).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372.
(4) القاسميّ، محاسن التأويل: 7/ 48.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 71.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 12/ 108.

أيّ فصَلَ الجوابَ، ولم يأتِ بالعاطف كراهيةَ تكريره بتكريرِ أفعال القول، أو لكونها استئنافًا بيانيًّا مبنيًّا على سؤالٍ نشَأ مِن الآية السّابقة، مفادُهُ: فماذا أجابَ الخَضِر على سؤال موسى؟ فقيل: قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

سرُّ التَّوكيدِ بـ﴿إِنَّكَ﴾، وبـ﴿لَن﴾ في السّياق:

جـوابُ الخَضِر لمـوسى جـوابٌ جـازمٌ لما ألهمه الله من معرفة طبعه

أكّد البيانُ القرآنيُّ عدمَ صبرِ موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ بحرف (إنّ) وبحَرْفِ (لَنْ)، وغرضُ هذا التّأكيدِ تحقيقُ مضمونها بعدمِ صبرِ موسى بسببِ تَوَقُّعِ ضيقِ ذَرْعِه عن قبولِ ما يُبديه الخَضِر له، ولِأَنَّهُ علمَ أنّه ستصدرُ منه أفعالٌ ظاهرها المُنكرُ وباطنها المعروف، ولَمّا كان موسى ﷺ من الأنبياء الذين أقامهم اللّهُ لإجراءِ الأحكام على الظاهرِ؛ علمَ الخَضِرُ أنّ موسى سيُنكرُ ما يُشاهده من تصرّفاتِ الخَضِر لاختلافِ المَشْرَبيْن؛ لأنّ الأنبياءَ لا يُقرّون المُنكرَ، وهذه فائدةُ الإضافة إلى موسى ﷺ[1].

وفائدةُ هذه التأكيدات تحذيرُ الخَضِرِ لموسى وتنبيهُه على ما يستقبله منه حتى يُقْدِمَ على متابعته على بصيرةٍ وعلى غيرِ اغترارٍ، وليس المقصودُ منه الإخبار، فمناطُ التأكيدات في جملة ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ إنّما هو تحقيقُ خطورةِ أعماله وغرابتها في المتعارفِ بحيث لا تتحمّل، ولو كان خبرًا على أصله لم يقبلْ فيه المراجعة، ولم يُجبْه موسى بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾[2].

ويُستنبطُ من هذا أصلٌ من أصولِ التّعليم، وهو أنْ يُنبِّه المُعلّمُ المتعلّمَ بعوارضِ موضوعات العلوم المُلقَّنَة؛ لا سيما إذا كانتْ في معالجتها مَشَقّة[3]، وفيه أيضًا أنَّ العالمَ إنْ رأى في التّغليظِ على المُتعلّم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 371.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 371.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372.

ما يُفيده نفعًا وإرشادًا إلى الخير؛ كان عليه ذِكْرُه، فإنّ السكوتَ عنه يوقعُ المتعلّم في الغرورِ والنّخوة، وذلك يمنعهُ من التّعلّم[1].

معنى حرف ﴿لَن﴾ في السّياق المُحكَم:

في (لن) نفيُ حُصولِ الصَّبرِ من موسى على آكَدِ وجْهٍ

﴿لَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ حرفُ نفي لنفي المستقبلِ القريب والبعيد معًا، والمعنى: نفى الخَضِرُ استطاعةَ موسى الصبرَ معه على سبيلِ التأكيد[2]؛ أيْ إنّه لو تَجشَّم أنْ يَصبِرَ لم يَستطِعْ ذلك، وقد أفادتْ ﴿لَن﴾ مع ﴿إِنَّكَ﴾ وعمومِ الصبرِ المنفيَّ نفْيَ حُصولِ الصَّبرِ منه في المستقبَلِ على آكَدِ وجْهٍ[3].

سِرُّ التّعبيرِ بقوله ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾:

التّعبيرُ بالاستطاعةِ أنسبُ للمقامِ والسّياق

الاستطاعةُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ جاءتْ منفيّةً، والمعنى: إنّك لن تطيقَ أنْ تصبرَ على ما تراه من علمي؛ لأنّ الظواهرَ التي هي علمك لا توافق ذلك[4]، ولن تستطيعَ الصُّحبةَ والانقياد لما آمُرُ به في هذه الرِّحلة العلميّة.

ولذا فإنّ استعمالَ لفظِ الاستطاعة أنسبُ للمقامِ وللسّياق الذي صرّح به موسى في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، وقوله: ﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾؛ لأنّ أصلَ (طوع) يَدُلُّ على الإصْحابِ والانْقيادِ[5]؛ أيْ إنّ الاسْتِطاعَةَ انطباعُ الجوارحِ للفعل، وكذلك التهيّؤ لتنفيذِ الفعلِ بإرادةِ المختارِ من غيرِ عائق[6]، وهذا يناسبُ قولَ موسى - بعدَ نفيِ الاستطاعةِ عنه من الخَضِر - ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾، وليستْ مجرّد الطّاقة أو القدرة على الفعل.

(1) البِقاعي، نظم الدّرر: 12/ 109.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط في التفسير: 7/ 205.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372.
(4) الشّوكاني، فتح القدير: 3/ 299.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوع).
(6) الكَفَوي، الكُلّيّات: 1/ 108.

سرُّ التّعبيرِ بالمعيَّة في قوله ﴿مَعِيَ﴾:

نفاذُ صبرِ موسى مُـقيّـدٌ بصحبةِ الخَضِرِ لا بغيره لما يراه من غرائبه

قيّد البيانُ القرآنيُّ صبْرَ موسى ﷺ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ بالمعيَّة ﴿مَعِيَ﴾ وهي "ظرفُ مكانٍ مُتعلّقٍ بحالٍ من الفاعل في ﴿تَسْتَطِيعَ﴾"[1]؛ أيْ لم يقلْ لموسى: (إنّك لن تستطيع صبرًا)؛ للدّلالة على أنّ نفاذَ صبرِ موسى مُقيَّدٌ بصحبةِ الخَضِر؛ أيْ: سينفذُ صبره ما دام في صحبته مهما حاولَ الصبر؛ لما سيجدُ من أعماله ما لا يجد مثله مع غيره، فانتفاءُ الصبرِ على أعماله أجدر، ولو لم يُقيّد نفيُ الصبرِ عنده بالمعيّة لكان قدحًا في عصمةِ موسى؛ لأنّ الصبر من أهمّ سماتِ الأنبياء.

المُراد بالصَّبر في قوله ﴿صَبْرًا﴾، وسرّ التّعبير به:

مشاهدةُ ما لا يتحمّله الإدراكُ يحتاجُ إلى كلّ معاني الصّبر

يَحْتَمِلُ المُرادُ بالصَّبر في قولِه تعالى: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أوجهًا: صَبْرًا عن السُّؤالِ، وصَبْرًا عن الإنْكار[2]، وصبرًا على ما يثيرُ ضَجَرَهُ من تعبٍ في المتابعةِ، وصبرًا على مشاهدةِ ما لا يتحمّلهُ إدراكه، وصبرًا على ترقّبِ بيانِ الأسبابِ والعللِ والمقاصد[3]، ولكنّه لا يشملُ صبرَ موسى بعد تذكيره بالعهدِ والشرطِ الذي التزمَ به، لتذكّره ثناءَ اللّه على الخَضِرِ بأنّه لا يفعل باطلًا[4].

سرُّ تنكير لفظ ﴿صَبْرًا﴾ في السّياق:

عِـظَـمُ الأمـرِ الـغـريـبِ يستدعي عِظَمَ الصّبرِ عليه

نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿صَبْرًا﴾، في قولِه تعالى: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ لإفادة عمومِ الصَّبرِ؛ لوُقوعِ ﴿صَبْرًا﴾ نَكِرةً في سياقِ النَّفي؛ أيْ: نفى عنه أيَّ صبرٍ قبل تذكيره بعهده والتزامه، سواءٌ صبرُ السؤال، أو صبرُ الإنكار لغريبِ ما سيراه، وهذا العمومُ المُستفاد من

(1) ابن آجُرّوم، مشكل إعراب القرآن: 3/ 18.
(2) المَاوَرْدي، النُّكَت والعيون: 3/ 326.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372 - 373.
(4) البِقاعي، نظم الدُّرر: 12/ 112.

التنكير يزيدُ تأكيدَ نفيِ استطاعةِ الصبر في المستقبل[1]، يعني لو تكلّف أنْ يصبرَ لم يستطع ذلك.

وكذلك لإفادةِ التعظيم؛ أيْ: لن تستطيعَ الصبرَ العظيمَ البليغ الذي أريده منك على ما ستراهُ من أمورٍ تخالفُ ظاهرَ شريعتك التي أُمرتَ بها[2].

معنى الواو في قوله ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾:

عدمُ صبرِ موسى على ما لا يُعلمُ حقيقته حالٌ ملازمةٌ له

الواو في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ حاليةٌ، وجملة ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾، في موضع الحال من اسم (إنَّ)، أو من ضميرِ تستطيع؛ لأنَّ شأنَ هذه الجملة ألّا تُعطف على التي قبلها؛ لأنّ بينهما كمالَ الاتصال؛ إذِ الثّانية كالعلّةِ للأولى[3]، والصبرُ الثاني هو الأول، والمعنى: إنّك لا تستطيع الصبرَ الذي أريده لأنّكَ لا تعرفُ فعلي على ما هو عليه فتراه فاسدًا[4].

وإنّما أوثرَ مجيئها في صورة الجملة الحاليّة دون أنْ تُفصلَ عن الجملةِ الأولى فتقع علّةً مع أنّ التعليل هو المُراد؛ للتّنبيه على أنّ مضمونها علّةٌ ملازمةٌ لمضمون التي قبلها؛ إذ هي حالٌ من المُسنَدِ إليه في الجملة قبلها[5].

أو تكون الواو عاطفة[6]، وجملة ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾[7]، إذْ كلاهما مقولُ القولِ للخَضِرِ إلّا أنّ الصّبر الثاني ليس هو الأول؛ فالأوّل هو الصَّبر الأخصّ؛ أي البليغ الذي يريده الخَضِر من موسى، والجملةُ نفي له، والثاني هو مطلقُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 372.
(2) البِقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 12/ 108.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 9/ 516.
(4) البِقاعي، نظم الدّرر: 12/ 109.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 372.
(6) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 109.
(7) الخرّاط، المُجتَبى: 2/ 654.

الصبر، والجملةُ تعجيبٌ من مُطلقِ الصبر على أمرٍ ظاهرُهُ مُنْكرٌ، وأنت لا تعلم باطنه[1].

المُراد بالاستفهام الوارد في قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾:

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ استفهامٌ تعجّبيٌّ[2]؛ أيْ: لمّا كان المقامُ صعبًا جدًّا - لأنّه بالنسبةِ إلى أوامرِ اللّه تعالى - فقد بيّنه على وجهٍ أبلغَ من نفي الأخصِّ، وهو الصّبرُ البليغُ بالتّعجيبِ من مُطلَقِ الصّبر معتذرًا عن موسى في الإنكار، وعن نفسه في الفعل، بأنّ ذلك بالنّسبةِ إلى الظّاهرِ والباطن[3]، أو استفهامٌ إنكاريٌّ في معنى النّفي؛ أيْ: وأنتَ لا تصبرُ على ما لم تُحطْ به خبرًا[4].

إنكارُ الصّبرِ والتّعجّبُ منه على ما لا تُعلَمُ حقيقته اعتذارٌ لصاحبه

التّعبير بالفعل ﴿تَصْبِرُ﴾ بصيغة المضارع:

عبّر القرآنُ بالفعل المضارع ﴿تَصْبِرُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾؛ لإفادةِ استمرارِ عدمِ استطاعةِ الصبر الذي يريده الخَضِر، ففي تعجّبِ الخَضِرِ من استمرارِ صبرِ موسى ﷺ التماسُ العُذْرِ له، إذ كيف يمكنُ لموسى أنْ يستمرّ في الصبرِ على ما لم يُحطْ به خبرًا، وعبَّر بالمضارع كذلك لأنّ الكلامَ عن شيءٍ سيحدثُ في المستقبل؛ إذ رحلتهما لم تبدأ بعد، والمعنى: وكيف ستصبرُ في المستقبل على ما سترى من أفعالي وأنتَ لا تحيطُ بها علمًا؟

استمرارُ صبرِ موسى على ما لم يُحطْ به خبرًا التماسٌ للعُذْرِ له

معنى حرف الجرّ ﴿عَلَىٰ﴾ في السّياق:

أفاد حرف الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ الاستعلاءَ المجازي؛ بمعنى التّمكُّن من تعلّقِ نفي صبرِ موسى ﷺ بمدخول ﴿عَلَىٰ﴾؛ وهو العلومُ الخفيّةُ التي لم يُحِطْ بها موسى خُبرًا، ولكون ﴿عَلَىٰ﴾ يناسبُ الصبر في الآية الذي هو علوٌّ

في الاستعلاءِ المجازيّ تصويرٌ لحالِ موسى في عدمِ تمكّنه من الصّبر

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 109.
(2) الصاوي، حاشية الصاوي على تفسير الجلالَيْن، ص: 1115.
(3) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 109.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 372.

وترفّعٌ عن الضَّعف، ويناسبُ مدخول ﴿عَلَىٰ﴾ العلومَ الباطنةَ الخفيّة؛ إذ شأنها كبيرٌ وعالٍ.

فائدة التّعبير بالاسم الموصول وصلته:

في الموصولية إيماءٌ بعلّةِ عدمِ صبرِ موسى واعتذارٌ له

في التّعبيرِ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ وصلته ﴿لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ تركيزٌ على الصِّلة؛ لأنّ القرآنَ يأتي بالاسمِ الموصول عندما تكون صلته هي التي عليها مدارُ الحكم، وبالتالي تكون فائدةُ التعبيرِ بالاسمِ الموصول وصلته هي الإيماءُ بعلّةِ عدمِ صبرِ موسى، وهي عدمُ إحاطة معرفته بوجه هذه الأعمال التي سيقومُ بها الخَضِر؛ لاتِّصالها بمعرفة العواقبِ التي لا يحيطُ بها علمًا إلا مَن علَّمه اللّه إيّاها[1]، وفي هذا اعتذارٌ من الخَضِرِ لموسى والتماسُ العذر له.

وكذلك قصدُ الإبهامِ الذي يتناسبُ مع أمورٍ خفيّةِ المَدارِ مُنْكَرةِ الظواهرِ سيقومُ بها الخَضِر، وفيه كذلك تفخيمٌ وتعظيمٌ لشأنِ هذا المبهم وتشويقٌ لمعرفته، وتنبيهٌ على تعميمه؛ لأنّ ﴿مَا﴾ من ألفاظ العموم؛ أيْ إنّها تشمل كلّ الأعمال الخفيّة في مقاصدها وعواقبها والمُنْكَرة في ظواهرها.

بلاغة استعمال لفظ الإحاطة: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾:

التماسُ العُذْرِ لموسى لعدمِ إحاطته بعلمِ الغيب

الإحاطةُ في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ مجازٌ في التَّمَكُّن من المعلومة، تشبيهًا لقوّة تَمَكُّنِ الاتِّصاف بتَمَكُّنِ الجسم المحيطِ بما أحاطَ به[2]، إذْ معنى أحاطَ به علمه مجازٌ عن كُلّ مَنْ بَلَغ أَقْصى شَيءٍ، وأَحْصى عِلْمَهُ، ويُقالُ: عَلِمَهُ عِلْمَ إحاطةٍ، إذا عَلِمَه من جَميع وُجوهِه ولم يَفُتْه مِنْها شَيْءٌ، وأَحَطْتُ به عِلْمًا؛ أَيْ: أَحْدَقَ عِلْمي به من جَميع جِهاتِه[3].

(1) أبو حفص النّسَفي، التيسير في التّفسير: 10/ 114.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 372.
(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (حوط).

وفي هذا التعبير اعترافٌ من الخَضِرِ بعلمِ موسى ﷺ، إذْ لم يَقُلْ له: (وكيف تصبر على ما لم تعلم)، ولكنّ علْمَ موسى لم يكن علمَ إحاطةٍ؛ فلم يعلم علومَ الغيب، فاللّهُ وحده سبحانه الذي يحيطُ علمُهُ بكلّ شيء، وفي هذا مظهرٌ من مظاهرِ أدبِ المُعلِّم (الخَضِر) مع المُتعلِّم (موسى ﷺ)؛ حيث التمسَ له العذرَ إنِ اعترضَ عليه، بأنّه لم يُمكَّنْ من العلمِ الذي مُكّن منه الخَضِرُ، ولم يطّلع على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطّلع عليها الخَضِرُ، ولذلك قال له كما ورد في الحديث: "إنّك لن تستطيع معي صبرًا يا موسى، إنّي على علمٍ من علمِ اللّه علّمنيه لا تعلمه أنتَ، وأنتَ على علمٍ علّمكه لا أعلمه"[1].

دلالةُ الباءِ بين الإلصاقِ والتّوكيدِ في قوله: ﴿بِهِۦ﴾:

تـوكـيـد عـدمِ إحـاطـةِ مـوسى بـالبـواطنِ الّتي بـادر إلى فعلها الخَضِر

(الباء) في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ للإلصاق، والمعنى: ما لم تُحطْ إحاطةً علميةً ملتصقةً بباطنه الخفيّ من جميع جهاته؛ لأنّها ممّا اختصني اللّه به، وقد تكون للتّوكيد؛ أيْ توكيد عدمِ إحاطةِ موسى ببواطنِ أعمالِ الخَضِر؛ والمعنى: ما لم تُحطْه خبرًا.

مرجع الضّمير في شبه الجملة ﴿بِهِۦ﴾:

في عـودِ الضّميرِ عـلى مـا يـحملُ إبـهـامًـا زيـادةُ تشويقٍ وتنبيهٌ من إنكاره

مرجع ضمير ﴿بِهِۦ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ هو الاسم الموصول ﴿مَا﴾ وصلته ﴿لَمْ تُحِطْ﴾؛ أيْ: كيف تصبر على الذي لم تُحط به علمًا؟ وهو ما لم يعلمه موسى "من أمرٍ ظاهرُهُ مُنكرٌ"[2].

وفي عود الضّمير (الهاء) إلى اسم موصول فيه إبهامٌ يتناسبُ مع ما يدل عليه من الأمور الخفية في مقاصدها المنكرة في عواقبها، وزيادةُ تشويقٍ لمعرفةِ هذا المُبهَم، وتنبيهٌ للحذرِ من المُسارَعة في إنكاره.

(1) البخاري، صحيح البخاريّ، كتاب: العلم، باب: ما يُستحب للعالم إذا سُئل: أيُّ الناس أعلمُ؟ فيَكِل العِلْمَ إلى الله، رقم، ص: 122.
(2) الواحديّ، الوجيز، ص: 668.

معنى لفظ ﴿خُبۡرًا﴾ وسرُّ تنكيره:

التّعبيرُ بما هو أنسبُ لمقامِ اختبارِ صبرٍ وتعليمٍ لخفايا الأمور

عبّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿خُبۡرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾ دون غيره، فلم يَقُلْ: (عِلْمًا)؛ لأنّها أشملُ؛ فهي ليستْ مجرّدَ معرفةٍ وإدراكِ المعلوم، بل هي العلمُ بكُنْه المعلوماتِ على حقائقها؛ ففيها معنىً زائدٌ على العِلْم، يُقال: خبرتُ الشَّيْء إذا عرفتَه على حَقيقَته[1]، وهذا العِلمُ بالخفايا الباطنةِ يستلزمُ معرفة الأمور الظّاهرة[2]، ولأنّها أنسبُ للمقام؛ فقد كان عِلْمُ الخَضِر معرفةَ بواطن قدْ أوحيتْ إليه لا تُعطي ظواهرَ الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علمُ موسى عليه السلام علمَ الأحكامِ والفتيا بظاهر أَقوالِ النّاس وأفعالهم[3]؛ أيْ لن يستطيعَ أنْ يصل إليها موسى إلّا عن طريقِ إخبارِ الخَضِر له، وقد أفاد تنكيرُ ﴿خُبۡرًا﴾ هنا التّعميمَ ليشمل الكثير والقليل من الأخبار، وفي هذا نفيٌ للعِلْم بالكُلّيّة عن موسى عليه السلام بما سيجري من أحداث.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاستطاعة والقدرة والطّاقة:

الاستطاعةُ انطباعُ الجوارحِ للفعل، والقدرةُ أعمُّ، والطّاقة استفراغُ الوسعِ في المقْدور

رغم التّقارب الدّلالي بين ألفاظِ الاستطاعةِ والقدرةِ والطّاقةِ، وتعريفِ كلٍّ منها بالآخر في المعاجم اللّغويّة؛ إلّا أنّ لكلِ لفظٍ من هذه الألفاظ ما يتميّز به، فأصلُ (طوع) يَدُلُّ على الإصحابِ والانقيادِ[4]، وأصلُ (قدر) يَدُلُّ على مَبلَغِ الشَّيءِ وكُنهِه ونِهايَتِه[5]، وأصلُ (طوق) يَدُلُّ على دَوَرانِ الشَّيْءِ على الشَّيْءِ، فكُلُّ ما اسْتَدارَ بشَيْءٍ فهو طَوْقٌ[6]، والطّاقةُ: اسمٌ لمقدارِ ما يمكن للإنسان أنْ يفعله بمشَقّة[7].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 93.
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (خبر).
(3) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 3/ 529.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوق).
(7) الراغب، المُفردات، ص: 532.

فالاسْتِطاعةُ القُدْرَةُ على الشَّيْءِ[1]، وضدّها العجز، وهي أخصُّ من القُدرة[2]، فهي للإنسان خاصَّةً، والإطاقة عامَّةً، فقد يكون الشّخص مستطيعًا من وجهٍ، وعاجزًا من وجهٍ آخر في الوقتِ نفسه، وليستِ القدرة كذلك.

والطّاقَة غايَة مقدرَةِ القادِر واستفراغ وُسْعه في المَقْدور، يُقال: هذا طاقتي؛ أَي: قدر إمكاني، ولا يُقال للّه تَعالى: مطيقٌ لذلك، فالفرّق بين القُدْرَة والاستطاعة: أَنّ الاسْتِطاعَة انطباعُ الجوارحِ للفعل، من قَوْلك: طاعتْ جوارحه للْفِعْل؛ أَي: انقادت لَهُ، والقدرةُ: هي ما أوجب كون القادرِ عليه قادرًا، ولذلك لا يوصفُ اللّه تعالى بأنّه مُستطيع، ويوصفُ بأنّه قادر، والاستطاعةُ أخصّ من القدرة، فكلُّ مُستطيعٍ قادرٌ؛ وليس كلُّ قادرٍ بمُستَطيع؛ لأنّ الاستطاعةَ: اسمٌ لمعانٍ يتمكّن بها الفاعل ممّا يريده من إحداثِ الفعل، وهي أربعة أشياء: إرادته للفعل، وقدرته على الفعل بحيث لا يكون له مانع منه، وعلمه بالفعل، وتهيّؤ ما يتوقّف عليه الفعل[3].

الخُبْرُ والعِلْمُ:

الخُبْرُ هو العِلْمُ بالباطِن الخَفيِّ، والعِلْمُ هو معرفَةُ وإدراكُ المَعْلوم

هناك تقاربٌ بين لفظي ﴿خُبْرًا﴾ و﴿عِلْمًا﴾، فقد عُرّف الخُبْرُ بأنّه العلمُ بالشيء[4]، ولكنّ العلماء فرّقوا بين الخبرِ والعلم؛ فذكروا أنّ الخبرَ هو العلم بكُنْه المعلوماتِ على حقائقها، ففيه معنىً زائد على العلم، يُقال: خبرتُ الشَّيءَ إذا عرفتَه على حَقيقَته[5]، "كأنّك تغلْغلْتَ في باطنه حتى عرفته"[6]، وقيل الخُبْر: العِلْمُ بالباطِن الخَفيِّ، لاحتياج العِلم به للاختبار، وقيل الخُبْرُ: العلم بالأشياء

(1) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصَّل: (طوع).
(2) الراغب، المُفردات، ص: 531.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 47 - 48.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خبر).
(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 93.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المُؤصّل: (خبر).

المعلومة من جهة الخَبَر[1]، والخبيرُ في صفاته تعالى بمعنى: العالم ببواطن الأمور وظواهرها، وبما كان منها وما يكون، والعالم بأخبار مخلوقاته لا يعزبُ عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض[2].

أمّا العِلْمُ فقيل هو معرفَة المَعْلوم، وقيل هو اعْتِقاد المَعْلوم على ما هو به[3]، وقيل: هو إدراكُ الشيء بحقيقته، والعلمُ ضربان: أحدهما: إدراكُ ذاتِ الشيء، والثّاني: الحُكمُ على الشيءِ بوجودِ شيء هو موجود له، أو نفيُ شيءٍ هو منفيّ عنه؛ فالأوّل: هو المُتعدّي إلى مفعول واحد، والثّاني: المُتعدّي إلى مفعولَيْن[4].

إذن؛ الخُبْرُ أخصّ من العلم، فهو العِلْمُ بالباطِن الخَفيِّ، الذي يحتاجُ للاخْتبار، وكأنّه يحتاج لأنْ يتغلغلَ في باطنه حتّى يعرفه، بينما العلم هو إدراكُ الشيء ومعرفته على حقيقته وما هو عليه، وهو معرفة المعلوم، فكأنّ العلمَ بالشّيء أسهلُ من خبره به.

(1) الراغب، المُفردات، ص: 273.
(2) السّمين الحلبي، عُمدة الحُفّاظ: 1/ 485.
(3) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 451.
(4) الراغب، المُفرَدات، ص: 580.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»